بحر سارة

موضي الطويل

بحر سارة

رواية

قنديل | Qindeel

Sara's Sea

Modhi Al - Taweel

(Novel)

بحر سارة

موضي الطويل

© 2018 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلا ف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: MC-02- 01-3122635 تاريخ 2018/7/23

ISBN: 978 - 9948 - 24 - 933 - 7

قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع
Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد
دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae
الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© **جميع الحقوق محفوظة للناشر** 2018

الطبعة الأولى: تشرين الثاني / نوفمبر 2018 م – 1440 هـ

أُنجزت هذه الرواية بإشراف

الروائي طالب الرفاعي

في إطار برنامج دبي الدولي للكتابة

مشروع نابض.. وجيل واعد

منذ إطلاق «**برنامج دبي الدولي للكتابة**» عام 2013، تحت رعاية سمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس **مؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة**، كان علينا مضاعفة الجهود؛ لنكون أكفاء لتحمُّل مسؤولية إعداد جيل من الكتَّاب الشباب لحمل مشعل الفكر، وليصبحوا في مصاف الكتَّاب العالميين، وقد آلينا على أنفسنا أن نذلِّلَ كلَّ العقبات التي تحُول دون نجاح هذا المشروع الحيوي النابض، الذي يعكس وجهاً حضاريّاً آخر من وجوه دبي.

وها نحن ذا، نرى عشرات الكُتَّاب الشباب الذين تخرجوا في البرنامج في مختلف حقول الكتابة، حيث الرواية والقصة والترجمة والكتابة للأطفال واليافعين، والأمل معقود باتجاه فنون كتابية أخرى؛ ليكتمل المشهد الإبداعي مع جيل موهوب يتقن فنون الكتابة الاحترافية، حسب منهج علمي ولغوي، وتقنية صحيحة، جيل تدرَّب على أيدي أساتذة أكفاء، نقلوا له المعارف والخبرات والمهارات اللازمة؛ لتكتمل دورة المشهد الاحترافي، والهدف الكبير أن نصل بهم إلى العالمية.

لقد أعطى برنامج دبي الدولي للكتابة للشباب الموهوبين إبداعيّاً، جرعةً من الأمل ليحقّقوا حلمهم، ولم نكتفِ بتدريب الموهوبين داخل الإمارات؛ بل انطلقنا عربيّاً عبر ورشٍ تدريبيَّةٍ في تونس ومصر والكويت، متجاوزين الحدود الجغرافية للوصول إلى الشَّباب العربي في بلدانهم، وإطلاق ورشات تدريبية مع مدربين محليين مشهود لهم بالكفاءة؛ لتصبحَ الفائدةُ من البرنامج أوسعَ وأشمل.

لقد كان هدف البرنامج منذ البداية، دعم المؤلفين والوصول بهم إلى العالمية، في شتَّى مجالات المعرفة؛ من العلوم والبحوث إلى الأدب، وقد لمسنا نتائج طيبة خلال الورشات الماضية؛ فقد فازت كتب من البرنامج بجوائز مرموقة، وبات يُنْظَرُ إلى هذه التجربة بكثير من التقدير والاحترام داخل الإمارات وخارجها. وها نحن اليوم ندفع بالكاتبة موضي الطويل إلى الساحة الثقافية، عبر هذه الرواية التي تسبر أغوار العلاقات العاطفية والإنسانية بلغة سلسة، والتي أنجزتها خلال البرنامج، ونحن على يقينٍ بأنها ستكونُ موضعَ تقديرٍ وترحيبٍ من القرَّاء والنقَّاد والمهتمِّين.

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي

لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

- 1 -

تجلس سارة على طاولة في زاوية الكافيه، تسمح لها برؤيةٍ أفضل للمكان، تمايل سعف النخل المزروع قرب الرصيف، وهدوء رمال الشاطئ، ولمعة زرقة البحر على البعد، جالسة بوحدتها تستمتع بلذة برائحة القهوة. السماء زرقاء رمادية، تتخللها بعض السُحب ناصعة البياض، والهدوء يخيم على المكان، رسالة هاتفها النقال تكسر هدوء خاطرها:

«صباح الخير، كيف حالك؟».

سرت رعشة مكهربة في جسدها، وزاد خفقان قلبها، وأحسّت وكأن الجوَ صار أكثر حرارة. استيقظت مشاعرها تتمطى من نومها، متأرجحة ما بين حنين وغضب دار ببالها: «للتو يسأل عني! بعد غياب شهر لم أعرف عنه خبراً»، مسَّ الغيظ روحها، حدثت نفسها: «لم يكترث بمشاعري، وكأنه اكترث بها يوماً، يسافر ويتركني حائرة مع تلك الأسئلة التي

تحـوم فـي رأسـي» تنهـدت تفكّـر: «مـاذا أقـول؟ ربمـا علـيّ أن أهملـه كمـا أهملنـي»، تركـت هاتفهـا، وعـادت إلـى قهوتهـا؛ لكنهـا استشـعرت مذاقـاً مغايـراً.

- 2 -

«مزعجة كانت الليلة!»؛ حدّثت سارة نفسها، تعبت في ليلتها الفائتة، لا تدري كيف توزعت بين الأرق والتفكير برسالة خالد. ظلت تغمض عينها تارة وتفتحها تارة أخرى، تتقلب يميناً ويساراً، قرأت الرسالة مراراً، وفي كل مرة تضيع وحيرتها. بقيت مستيقظة حتى أشرقت الشمس، وتسللت أشعتها من خلف الستائر. تعبت من محاولاتها البائسة لاصطياد لحظة نوم، فتركت سريرها وأطلت على صغيرها؛ ما زال نائماً، ابتسمت وقبلته قبلة خفيفة؛ لم ترد أن توقظه. استحمت بماءٍ بارد؛ علّ أفكارها تتجمد وتبرد مشاعرها، وبعد أن ارتدت ثيابها؛ راحت بالكاد تجرّ قدميها تخرج من غرفتها. أضواء الصالة كانت مغلقة، لم يستيقظ أحد من النوم بعد، نادت على مدبرة المنزل:

«ليان».

وقبل أن تسمع رداً أكملت: «تعالي اجلسي مع وليد.. سأخرج».

استعانت بدرابزين السلم وهي تنزل، تجاوزت غرفة المعيشة، مرت على غرفة الاستقبال، شعرت بها باردة وموحشة، توجهت نحو الباب؛ فتحته وخرجت. قادت سيارتها تجوب الشوارع، ولا تدري لماذا وجدت نفسها في شارع «الخليج العربي»، الطريق الموازي للبحر، فتوقفت عند أقرب موقف ونزلت وهي تشعر وكأن رأسها فارغ؛ إلا من دوي ليلتها الفائتة. اختارت كرسياً تظلله شجرة كبيرة وأوراقها كثيرة، وجلست تراقب البحر. رياح خفيفة تداعب سطح البحر، تجعل حركة الموج هادئة ومستسلمة، تأتي الموجة من بعيد لتذبل وتتلاشى لحظة اصطدامها بالصخر، شعرت وكأن الموج يهمس بها ويُحدثها؛ فبثّت همها للبحر: «ما الحل؟ رسالة واحدة منه أربكتني وهيّجت مشاعري، أحنّ لأيامٍ جمعتنا معاً قبل أن نتزوج، هل عرفته فعلاً، أم ما كان بيننا مجرد وهم؟» بِحيرة تساءلت: «هل أرحل عنه أم أصبر عليه أكثر؟»، تتزاحم الأفكار في رأسها، ومع كل فكرة تفكر بها؛ تزيد شدة الرياح، ويرتطم الموج بقوة على الصخر؛ كأنه يحذرها قائلاً: «تذكري ما يسببه لك من ألم، لِمَ العودة؟!». تطبق يديها معاً تتمنى وتقول «ربما سيتغير».

أمسكت هاتفها وأرسلت رسالة: «مرحباً، أنا بخير». تنبّهت إلى أن الريح قد هدأت والموج راح يعبث مع صخور ورمال الشاطئ متوددًا، ولكن هذا الثقل ما زال يجثم على صدرها، لا تعرف هل تتراجع عن قرارها وتعود إليه؟ أم تمضي في حال سبيلها، وإذا برسالة منه «أنا راجع الليلة». قرأت الرسالة فشعرت وكأن ثقلاً جديداً راح يضغط صدرها.

- 3 -

قـررت أن تجلـس سـارة مـع زوجهـا خالـد فـي مـكان عـام؛ حتـى لا تشـعر بالضعـف تجاهـه. اقترحـت عليـه أن يتقابـلا فـي كافيـه هـادئ قليـل الـزوار، لـم يعجبـه الأمـر؛ متسـائلاً:

«ألا تنوين العودة إلى البيت؟».

ردت مرتبكة:

«لم نخرج منذ زمن، نغير جو».

لم يقتنع بإجابتها، ومع ذلك وافق مردداً جملتها:

«نغير جو». وأضاف بعد شيء من الصمت

«لم لا؟».

وصلـت، ولكنهـا لـم تبـرح مكانهـا، تحـاول جاهـدة أن تسـتجمع قواهـا وتسـترجع كل مـا تريـد أن تقولـه لـه، تأخـذ

نفساً عميقاً لتزيح هذا الثقل من على صدرها. كان ينتظرها، وما إن رآها حتى أسند ظهره إلى المقعد واضعاً يديه على السنادتين، رافعاً حاجبه، ينظر إليها؛ وفي عينيه تلك النظرة المستصغِرة التي تكرهها. رمت جملتها بتثاقل:

«مساء الخير».

قبل أن تجلس قال لها:

«ألن تقبّليني؟.. للتو رجعت من السفر».

اكتفت بابتسامة تجاهلت بها طلبه، وجلست على الكرسي المقابل له، بينهما طاولة دائرية صغيرة، لم تجلس بجانبه «لا أريد أن أضعف»؛ كانت تردد لنفسها. أشارت للنادل:

«قهوة إذا سمحت».

الصمت يعمّ المكان، ووحده التوتر يحطّ بينهما. ينظر إليها فتشيح بنظرها عنه، سألها:

«كيف حالك؟».

«بخير».

دسَّ شيئاً من الحدة في حسّه، وهو يسألها:

«ماذا بك؟».

نظرت إليه مستغربة، وبشيء أقرب للتهكم ردّت:

«تسألني! تسافر فجأة وتغيب لفترة طويلة ولا تسأل عني».

ظهر الابتسام على وجهه وسألها:

«اشتقت إليّ؟».

لم ترد، سكت لبرهة وقال:

«تعرفين طبيعة عملي».

وعلت وجهه تلك الابتسامة التي كانت تحبها وصارت تستفزها:

«قولي لي؛ من حمل أشياءه وترك البيت؟».

تنظر إليه بنظرة فارغة، تهمس لروحها: «لن يتغير». ردت عليه:

«تعرف لماذا تركت البيت».

وكعادته لم يكترث، وبدأ يتكلم عن عمله وسفره، ومدى إعجاب الحضور بمحاضرته، وإعجاب البنات خاصة، بينما لا تنصت سارة لما يقول، سارحة به، تتساءل «هل يغيّر الزواج الأشخاص فعلاً، أم تسقط أقنعتهم بعده؟». ابتسمت وقاطعته:

«وماذا عنا.. أنا ووليد؟».

وبشيء من الخيبة:

«كان لديّ أمل بأنك ستتغير، ولكن للأسف».

مال بجذعه تجاهها، قال وقد لوّحت الحدة نظرته:

«ألا تملين من هذا النكد؟».

أثار حنقها:

«دائماً تسّخف كلامي، ولا تستمع لي ولا تفهمني».

انتظرته يرد، ظل ينظر إليها فاقداً صبره:

«أخبرتك بأني لم أعد قادرة على الاستمرار في هذا الزواج».

ببرود قال:

«تركتك ليعود إليك صوابك، لتفكري جيداً».

طريقته في الحوار تضايقها:

«وهل فكرت أنت، هل ستهتم؟».

قاطعها، مردداً:

«تهتم، تهتم.. هذا الكلام الفارغ الذي لا تكفين ترددينه على مسمعي».

قرب جذعه تجاهها:

«أنتِ سبب عدم وجودي بالمنزل، كلامك يثير حنقي».

ضغطت على ذراع الكرسي تحاول أن تتحكم بأعصابها، وقالت:

«نفس الموضوع يتكرر مراراً بلا أي فائدة، وترمي اللوم عليّ دائماً».

وتوقفت لثوانٍ؛ قبل أن تقول له:

«تمنيت مرة لو أنك تهتم بي وبابنك، أن توجد في حياتنا فعلاً، هل الطلب صعب إلى هذا الحد؟».

أشار لها بيده لتسكت، نظرت إليه بحزن تكاد لا تعرفه، لا تعرف ابتسامته ونظراته، ولا تعرف نبرة صوته. جرحها منه أكبر من أن تبوح به، تنظر إليه بنظرة فارغة، لا تستمع إلى ما يقوله، تذكرت ليلة زفافها؛ عندما شعرت بعجزه؛ فكلما حاول كان ينتهي قبل أن يبدأ. لم تكن ليلتها كما تخيلتها مع الشخص الذي أحبته، لم تتصور أنه سيعاملها بهذه القسوة، وأنها ستفقد عذريتها بشكل مختلف عن غيرها، يومها لم يكترث لدموعها ولا توسلاتها بأن يتوقف، بل تركها جثة هامدة تبكي بصمت ووجع، بعدها يأتي ويقبلها ويضع رأسه

على الوسادة؛ وكأن شيئاً لم يحدث. ما زالت تشعر بالألم كلما تذكرت، يومها سلب منها فرحتها، سلب شيئاً من روحها، أعادها صوته عندما سألها:

«متى ستعودين؟».

يخذلها صوتها أحياناً، قالت:

«لن أعود».

قال ضاغطاً على حروف كلماته:

«ستعودين معي اليوم».

شعرت برأسها يتصدع، وأصبح صدى الجملة في رأسها أقوى «لن أعود»، مسَّ قلبها شيء من الألم، وشيء من الانكسار في صوتها:

«لم تحبني، ولم أعد أحتمل العيش معك».

ترددت لثوانٍ قبل أن تخبره:

«لقد أخبرت أمي بأننا سننفصل».

تغير لون وجهه، زمّ على شفتيه كاتماً أنفاسه، غاضباً رفع صوته متناسياً من حوله:

«أجننت! غيرك يتمنى مكانك».

تبسّمت بأسى، مستسلمة قالت له:

«هنيئاً لهم».

شعرت أن جملتها جرحت كبرياءه وغروره، أشعلت النار في صدره، فقال بحنق ظاهر:

«لن أطلقك، ولن تأخذي ابني مني».

شبّت واقفة؛ أخذت حقيبتها وقالت:

«للتو تذكرت أن عندك ابن!».

وقفت تنظر لعينيه؛ لا تعرف من أين أتت لها هذه القوة لتقول:

«طلقني».

قام واقترب منها وأمسك بذراعها يعصرها:

«لن أطلقك».

التفتت، شعرت بالحرج؛ فعيون الناس عليهما، قالت ترجوه أن يهدأ «خالد الناس»، فالتفت بدوره وترك ذراعها؛ فسارعت تسير مبتعدة، تركته ونيران الحقد من عينيه تشعر بها تخترق ظهرها. ركبت سيارتها تلهث وتبكي بحرقة؛ تسأل نفسها «والآن ماذا؟».

- 4 -

عند الغروب..

وصلت سارة إلى الكافيه المفضل لديها، تحب هذا المكان بأبوابه الزجاجية الكبيرة والمرتفعة التي تصل إلى السقف، ومقاعده الوثيرة المريحة في الداخل، والكراسي والطاولات المنتشرة في الخارج، والمطلة على البحر والنخل المزروع قرب الرصيف. تحب هذا المكان في الشتاء أكثر؛ فدفء المكان بحضور البحر يلامس شيئاً في نفسها. تؤنسها ألوان السماء لحظة الغروب وتمنحها السكينة، تتصبغ السماء باللون الأحمر، وتغيب الشمس مودعة؛ وتغرق في البحر، ويسدل الليل ستاره، ويظهر القمر بضوئه الأبيض فينير البحر. يستيقظ شريط ذكرياتها بقلبها، سارحة حائرة بمشاعرها، تكرهه؛ وما تلبث أن تحن إليه، رغم إحساسها بأنها أنقذت نفسها؛ شعرت وكأنها فقدت جزءاً منها، تجلس وحزنها

تحـدّث نفسـها: «مطلقـة! صغيـرة أنـا علـى حمـل هـذا اللقـب الثقيـل فـي المجتمـع».

لـم تكـن تتوقـع أن الأمـر سـيكون بهـذه الصعوبـة، أن تطلـب الطـلاق دون وجـود سـبب مقنـع بالنسـبة لعائلتهـا، فعندمـا أخبرت أمهـا بأنهـا ترغـب بالطـلاق؛ تجمـدت لبرهـة قبـل أن تسـألها:

«ماذا؟».

اقتربـت منهـا وأمسـكت بيدهـا؛ محاولـة أن تخفـف مـن وقـع الخبـر عليهـا وإقناعهـا:

«لـم أعـد أشـعر بالراحـة معـه، أشـعر بالاختنـاق كلمـا عـدت إلـى البيـت، أتعبنـي إهمالـه.. وتصرفاتـه».

راحت تنظر إليها بنظرة أخافتها، وعلا صوتها:

«أجننت؟!».

ثم نادت على والدها:

«أبو سارة، تعالَ واسمع ما تقوله ابنتك».

حاولت تهدئتها، وأن توصل لها ما تشعر به:

«أرجـوك يـا أمـي اسـمعيني، أشـعر بأنـي لسـت متزوجـة غيـر موجـود».

دخل والدها في حالة فزع:

«ما الذي يحدث؛ لِمَ كل هذا الصراخ؟».

فقالت أمها:

«مصيبة حلت علينا، ابنتك تريد الطلاق».

امتلأت عينا سارة بالدموع؛ فتركتهم وجرت إلى غرفتها وصوت أمها يلاحقها:

«جنّت البنت، جيل هذا الوقت لا يتحمل شيء».

فصرخت سارة:

«وما أدراك؟ فما تحملته يفوق طاقتي».

لم تقتنع والدتها؛ فكل هذه الأسباب ليست كافية لتنهي زواجها. جاء على بالها، يوم وقوفها وحدها أمام القاضي تبكي بصمتها، بينما يقف خالد بجانبها غير مكترث، وشيء من ابتسام كريه يعلو وجهه، سألها القاضي:

«أترغبين بالطلاق؟».

اختنق صوتها، بالكاد خرجت منها كلمة:

«نعم».

فسألها مرة أخرى؛ وكأنه يودّ التأكد. تمنت لو أن والدتها بجانبها تسندها، لكنها كانت غاضبة منها. حاولت مراراً أن تقنعها، أن تجعلها تفهم أن ما تشعر به مع خالد ليس بالأمر الهيّن ليتم تجاهله، وأن هناك الكثير من الأمور تحدث بين الزوجين لا يعلم بها إلا الله، وحاولت والدتها أيضاً أن تثنيها عن قرارها:

«ماذا سيقول الناس عنا؟».

غضبت سارة وأصرت على رغبتها:

«حياتي وليست حياتهم».

أعادها صوت وقع وانكسار شيء على الأرض، فتداركت دمعتها التي كادت أن تسقط على خدها، التفتت فرأت كوباً مكسوراً، وأماً مرتبكة تضم طفلها الذي بدأ بالبكاء تحاول تهدئته، والنادل يجمع الكوب ويبتسم للطفل ويقول له:

«لا بأس».

رن هاتفها، كان الاتصال من أمها تسألها عن مكانها، وتخبرها بأن وليد يبكي يريدها. نظرت إلى ساعتها «تأخرت»؛ فحملت حقيبتها مغادرة تقول لنفسها «ليت الزمان يعود بي فلا أتزوج ولا أنجب، أن تختفي هذه المسؤولية

الثقيلة التي أحملها وحدي». تمر في بالها ضحكات وليد؛ فتشعر بالخوف من أمنيتها «أستغفر الله»؛ تردد في ذهنها. تذكرت اليوم الذي علمت فيه بحملها، تأخرت عنها الدورة، فاتصلت بصديقتها العنود قلقة:

«تأخرَتْ عني».

فسألتها:

«ألا تأخذين حبوب منع الحمل؟».

فردت:

«ربما نسيت واحدة».

انتظرت خروج زوجها من المنزل، ثم ذهبت إلى الصيدلية واشترت جهاز فحص الحمل المنزلي وعادت. كانت يداها ترتجفان وهي تفتح العلبة؛ بعد أن قرأت التعليمات عليها، لم تكن لديها الرغبة في الحمل «ما زال الوقت مبكراً»، شعرت بالدقيقة تمر دهراً وهي تنتظر النتيجة، ظهر أول خط خفيف غير واضح؛ ثم ظهر خط آخر بجانبه، النتيجة إيجابية «أنا حامل». ولكي تتأكد من الحمل؛ قصدت مختبر المستشفى الأقرب، أخذت الممرضة عينة الدم، وبعدها جاءت تحمل ورقة بيدها لتقول: «نعم نتيجة التحليل موجبة، هناك حمل».

أخذت منها الورقة وابتسامة شاحبة على وجهها، تقرأ كلمة موجبة غير مستوعبة، رغم قلة الأيام التي يأتيها فيها، وحبوب المنع التي تأخذها؛ إلا أنها حملت. اتصلت على صديقتها مرة أخرى تبكي تبث لها الخبر؛ فتضحك العنود:

«مبروك، قولي الحمد لله؛ فغيرك يتمنى طفلاً».

لم تشعر بتلك السعادة التي تراها في الأفلام، أو التي تتحدث عنها الأمهات عندما علمن بخبر حملهن، بل شعرت بالخوف من المسؤولية، حتى خالد لم يكن متحمساً عندما عرف بحملها؛ فكان أول ما نطق به «تو الناس».

في صباح اليوم التالي..

كعادتها؛ قبل ذهابها إلى العمل، ذهبت إلى الكافيه لتطلب القهوة. كان المكان هادئاً، رجل يجلس في الزاوية يقرأ الجريدة، وفتاة واقفة تنتظر طلبها الذي استلمته ورحلت. ألقت نظرة على السندويتشات المعروضة، اختارت لحم الديك الرومي بالخبز الأسمر، وطلبت قهوتها المعتادة؛ كابتشينو مع حليب خالٍ من الدسم، ثم جلست تنتظر. شعرت بأن هناك عيوناً تنظر إليها، التفتت؛ فالتقت عيناها بعيني الرجل الجالس في الزاوية؛ فأشاحت بنظرها «مدام» ناداها النادل، استلمت طلبها، وكانت على وشك الخروج؛

عندما سقطت من يدها محفظتها وهي تحاول وضع نقودها فيها؛ وتحمل قهوتها وكيس الساندويتش في الوقت نفسه، نزلت تأخذها؛ فانفتح غطاء الكوب الذي لم يكن محكم الإغلاق؛ فانسكبت القهوة الساخنة على يدها وسقطت منها، خرجت منها صرخة خافتة. وقف رجل بجانبها وهي تلملم أغراضها وسألها:

«أنتِ بخير؟».

رفعت رأسها؛ فإذا هو الرجل الذي كان يجلس في الزاوية، قالت له «أنا بخير.. شكراً»، أشار إلى يدها وقال:

«دعيني أرى».

ظهر احمرار خفيف على الجلد؛ فقال لها:

«بسيطة، مجرد مرهم للحروق سيخفف هذا الاحمرار».

نظرت إليه والتقت عيناهما مرة أخرى؛ فابتسمت بخجل:

«شكراً».

وابتسم بدوره، وأعطاها منديلاً لتجفف يدها؛ وقال لها:

«سلامتك».

تأسف منها النادل، وقدم لها قهوة أخرى محكمة الإغلاق،

وغادرت. ذهبت إلى المستوصف لتعالج يدها «أرجو ألا يترك أثراً في يدي». منزعجة كانت تلمس مكان الحرق. وضعت الممرضة على يدها كريماً خاصاً لمعالجة الحروق، وقالت لها بأنه أمر بسيط؛ ولن يترك أثراً. انتبهت للوقت «تأخرت على العمل»؛ فاتصلت على رئيسها تستأذن بأنها ستتأخر. سلكت الطريق الموازي للبحر، سرحت بسلوك الرجل «كان لطيفاً». ثم تذكرت خالد ولطفه في أول فترة لتعارفهما؛ فشعرت بالضيق «جميعهم متشابهون»، راحت تذكّر نفسها وتتناسى ما حدث. رأت شخصين توقعت أن يكونا زوجين يمارسان رياضة المشي على شاطئ البحر ويضحكان معاً؛ فشعرت بالضيق، ودار في بالها «أشعر بالوحدة». ثم ومضت تلك الفكرة في بالها «جميعهم متشابهون.. لن أحب أبداً». ضغطت على المقود «الوحدة اللعينة».

في صباح اليوم التالي..

في نفس الوقت؛ عادت إلى نفس الكافيه لتطلب القهوة، ساعة مع نفسها تعيد لها الهدوء لحياتها، تتخلص فيها من أفكارها وهمومها، تقرأ صفحة من رواية بيدها، وتسرح في الصفحة الأخرى؛ فتعيد قراءتها. كانت منهمكة في القراءة؛ عندما سمعت صوت رجل يقول لها:

«صباح الخير».

رفعت رأسها، ارتبكت عندما رأت الرجل الذي ساعدها بالأمس، ردّت:

«صباح النور».

«كيف هي يدك؟».

ردت بخجل:

«بخير».

«الحمد لله». قال مبتسماً، أحست بحرارة الجو حولها عندما سألها:

«ممكن أكلمك؟».

«تكلمني؟».

«نعم». وابتسامة تلوح في وجهه

«عن ماذا؟». سألته مستغربة

«لديّ ما أقوله لك».

لم تعرف بماذا تجيب، قال لها:

«سجلي رقمي، وفكري بالموضوع».

تعجبت من صراحته وجرأته، وترددت في أن تسجل

رقمـه؛ ولكنـه ظـلّ واقفـاً، وكيـلا تطيـل هـذه اللحظـة، أمسـكت بهاتفهـا وسـجلت رقمـه.

«اسـمي حسـين». قـال لهـا والابتسـامة لا تـزال مرسـومة علـى وجهه.

«سأسعد لو اتصلت بي.. إلى اللقاء».

ظلـت تنظـر إليـه وهـو يسـير مبتعـداً، شـيء مـا شـدها إليـه؛ ربما هـي ابتسـامته، تركهـا وحيرتهـا تفكـر: «يبـدو لطيفـاً». علـى مـدار اليـوم تتذكـر الموقـف، حائـرة تنظـر إلـى اسـمه فـي هاتفهـا وتفكـر «مـاذا لـو اتصلـت بـه». تمـر علـى بالهـا ابتسـامته ولطفـه؛ فتتذكـر وحدتهـا وتقـول «ربمـا يؤنسـني فـي وحدتـي». فقـررت أخيـراً أن تكتـب لـه: «مسـاء الخيـر».

- 5 -

شيء ما أراح قلب سارة بقربها من حسين، ترفع رأسها من وسادتها، تتناول هاتفها فتقرأ عبارته:

«صباح الورد للورد»، شعرت بأنه يتقرب منها، وبأنه يتسلل إلى قلبها. أمر واحد ظل كنصل سكين يلكز خاصرتها: حسين من مذهب مختلف!؛ ومراراً خاطبت نفسها: كلنا مسلمون، لماذا التفرقة بين سني وشيعي؟ ظل السؤال يحاصرها، يحوم حول رأسها، ولأنه يضايقها؛ فإنها تحاول تناسيه، تعود لأفكارها بهواجسها مرددة:

«قريب إلى القلب وهذا يكفي». وتعود إليها جملته التي طالما كررها:

«دينك لنفسك، وأخلاقك للناس».

حين يضايقها الهاجس الكريه، تهرب منه مرددة: «حسين

مجرد صديق». وتسرح لثوانٍ قبل أن تهامس نفسها: «صديق عزيز».

أعاد شيئاً من الثقة لنفسها، ظلّ يطري صفات جمالها:

«سارة الجميلة!».

كانت تبتسم له، وتنتقل ابتسامتها لتلوّن وجهه وهو يعيد:

«حلوة كل البنات!».

مراراً عقدت مقارنتها بينه وبين خالد، معاملته اللطيفة واهتمامه بها، كلامه الحلو لها، تشعر بالراحة بقربه، وبأنهما قريبان من بعض، يفهمها وتفهمه. رغم كل هذا؛ إلا أنها كانت حذرة لا تريد أن تحب، تدفن مشاعرها في قلبها؛ فجرح خالد لم يبرأ بعد.

في مساء أحد الأيام، خرجت مع صديقتها للعشاء، استقبلهما النادل في المطعم بابتسامة عريضة؛ سألهما إن كان أحد معهما، وأين تفضلان الجلوس، ثم أخذ قوائم الطعام وسار أمامهما يدلّهما على طاولتهما، وأثناء سيرهما؛ رأت سارة طليقها خالد مع فتاة تجلس بجانبه، شعرت بدوار؛ وكأن الأرض انفلقت من تحتها؛ فابتلعتها في ظلمة لا ضوء فيها، تساءلت:

«من تكون؟ هل هي زوجته أم رفيقته؟».

أحسّت بقبضة ألم تعتصر قلبها، أشاحت بنظرها بعيداً، وجلست على الكرسي تنظر إليهما بين حين وآخر، ترغب بمعرفة طبيعة علاقتهما، ترى ابتسامته لها وكيف يميل إليها؛ فشعرت بالضيق، انكمشت على كرسيها، داهمتها برودة جعلتها ترتعش، لاحظت صديقتها شرودها فسألتها:

«ماذا بك؟».

«لِمَ لا نذهب لمطعم آخر؟».

«ولكن للتو جلسنا».

«حسناً، لا بأس».

فتحت حقيبتها تبحث عن هاتفها.

«نسيت هاتفي في السيارة سآتي به».

كاد شعورها أن يخنقها؛ فخرجت وملأت رئتيها بالهواء، ثم توجهت نحو سيارتها لتأخذ هاتفها، لم تنتبه له عندما وقف بجانب سيارتها؛ فجفلت وتجمدت بمكانها تنظر إليه، ابتسم لها ابتسامته التي كانت تحبها؛ لكنها أدركت اليوم مدى خبثها، قال لها:

«لا أرى وليداً معك، يبدو أنك تهملينه».

تمالكت أعصابها وردت بهدوء:

«لـن أتأخـر عليـه». وحاولـت أن تخـرج مـن سـيارتها، ولكنـه ظـل منتصبـاً بمكانـه، فقالـت لـه:

«ستتأخر عليها وتشعر بأنك تهملها».

ضحك وقال:

«تغارين».

قالت بتهكم:

«أتمنى أن تكون أخبرتها بحقيقتك؛ حتى لا تنصدم بك».

أمسك بذراعها بشدة آلمتها، وقال لها:

«أتمنى أن تفكري بوليد قبل أي تصرف».

وقبـل أن يبتعـد، نظـر إليهـا نظـرة غريبـة أرعبتهـا، فشـعرت بالنـدم لـو أنهـا لـم تُعِبْـه. عـادت إلـى صديقتهـا وجههـا شـاحب؛ قلقـت عليهـا العنـود:

«تأخرتِ، ماذا بكِ؟».

«لِمَ لا نخرج؟».

استسلمت لها، حملت حقيبتها منزعجة؛ قالت لها:

«يتغير مزاجك في لحظة، كان من الأفضل لو لم نخرج».

«آسفة؛ ولكنني لا أشعر أني بخير».

«كنت تريدين أن تغيري المطعم، والآن أنت لستِ بخير، لماذا لا تخبريني ماذا بك؟».

«أشعر بالبرد؛ وكأنني سأتقيأ».

نظرت إليها مطولاً تستشف صدقها، أخذت نفساً عميقاً وسألتها:

«آخذك إلى المستشفى؟».

«لا داعي، سأعود إلى البيت؛ وإن ساءت حالتي سأذهب».

واعتذرت من صديقتها وأخذت ما في خاطرها:

«سأعوضك عن اليوم، المرة القادمة العشاء عليّ».

عادت إلى البيت، والموقف يتكرر في ذهنها «ألن أعيش بسلام».

- 6 -

لـم يمـس جفنيهـا النـوم إلا فـي السـاعات الأولـى مـن الفجـر، بعدمـا غلبهـا التعـب والإرهـاق مـن التفكيـر، ونـوم وليـد المتقطع. رنّ منبـه هاتفهـا ليوقظهـا للعمـل فأغلقتـه، اسـتيقظ وليـد علـى صوتـه «ليـس بعـد وليـد أشـعر بالتعـب»؛ فنـادت علـى الخادمـة لتأخـذه، وعـادت إلـى النـوم. اسـتيقظت عنـد الظهيـرة، وجـدت رسـائل عـدة مـن العنـود، واتصـالات عديـدة مـن حسـين، ولأن فـي صوتـه تجـد الراحـة والطمأنينـة؛ اتصلـت بـه. قلقاً كان عليهـا، سـألها:

«ألم تذهبي للعمل؟».

«لا، أشعر بالتعب».

«ماذا بكِ؟».

اختنقت بعبرتها:

«لا شيء، لم أنم جيداً».

ألح عليها:

«أعرفك جيداً، لا تكذبي علي، أخبريني ماذا بكِ».

لم تكن تقوى على الحديث؛ فاعتذرت منه وأغلقت الهاتف. مرهقة كانت من التفكير «ماذا يريد مني الآن؟»، تذكّرت وجودها معه في مركز إصلاح ذات البين، وكيف كان يمثّل حزنه، وأنه يريدها، وأنها لم تقدّر ظروف عمله وستحرمه من ابنه. مندهشة منه وعاجزة، تشعر بالحرج، لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، وأن تقول ما حصل بالفعل بينهما. رنّ هاتفها وقطع حبل أفكارها، كان خالد المتصل، لم تجب؛ فتكرر اتصاله حتى أجابت، أراد أن يأخذ ابنه، لم يأتِ بذكر ما حدث بينهما. يتعبها وجوده، ولكنها مجبرة على التعامل معه لوجود وليد، مفروض عليها. لم تخبر حسين عنهما، في البداية لم تشعر في الرغبة في إخباره، والآن هي قلقة من أن يستاء منها لإخفائها عنه أمراً كهذا، خافت أن يتغير عليها، ألا يتقبلها. تشعر أحياناً بأن ما حل بها ينقص من قدرها، كأنه عار: «مطلقة، لقب ثقيل على النفس»، ويزيد شعورها هذا مجالس النساء، كلما قالت لها والدتها «اليوم لدينا دعوة عشاء». تحاول أن تختلق أي عذر حتى لا

تحضر. ففي كل مرة تجلس معهن يدور هذا الحديث بينهن عنها:

«حرام ما زالت صغيرة».

«حسافة على جمالك».

«ما لها حظ مسكينة».

لا تحتمل هذه العبارات، تزعجها فلا تعيرها أي اهتمام، وتنشغل بهاتفها. تغير والدتها الموضوع الذي يشعرها بالحرج فتقول:

«إن شاء الله نصيبها يكون أفضل».

وفي أمسية أخرى؛ عندما كانت تجلس مع والدتها وجاراتها، أثار انتباهها حوار دار بينهن، سألت إحداهن:

«أتعرفن بنتاً في سن الزواج، جميلة، عودها ناعم».

فسألتها والدتها:

«لمن؟».

«لابن أختي، في بداية الثلاثين، مطلق ولديه ولد واحد».

وصارت تثني عليه:

«متدين، إنسان ذو خلق».

فقالت أخرى:

«سارة، جميلة وعمرها مناسب له».

«الله يحفظها.. ولكنه». تلعثمت ثم قالت:

«يريدها صغيرة، لم يسبق لها الزواج».

انزعجت سارة؛ فقالت بينها وبين نفسها:

«مجتمع بائس، يعيب فيه الطلاق المرأة ولا يعيب الرجل».

عادت تفكر في حسين:

«من أين أبدأ، كيف أخبره؟»، كانت قلقة تحدث نفسها، وتخلق سيناريوهات في رأسها، تتخيل ردة فعله لو أنه غضب «ماذا؟ لماذا لم تقولي لي؟»، أو عندما يرد ببرود وكأن الأمر لا يهمه ثم يرحل؛ فشعرت بوجع في قلبها، وراحت تذكّر نفسها «مجرد صديق». وحاولت أن تطرد هذه الفكرة من رأسها وتطمئن نفسها «سيتفهم». واتصلت به.

ذهبت إلى الكافيه المعتاد، كان المكان هادئاً كعادته يخلو من الناس. اختارت طاولة يفصل بينها وبين باقي الطاولات حاجز خشبي. كان يجلس بجانبها، تنظر إليه سارحة تفكر

«كيف أخبره؟»، أخذت نفساً عميقاً وقالت:

«حسين أنا». ابتلعت باقي جملتها، نظر إليها يحثها على أن تكمل حديثها، وسألها:

«هل أنت بخير؟».

«أشعر بالتعب». دمعت عيناها فنظرت بعيداً.

«أطلب لك شاياً بالنعناع؟».

«لا أشتهي».

وضع يده على يدها، لأول مرة يلمسها، شعرت بقشعريرة تسري بجسدها فسحبت يدها، كان ينظر إليها بقلق، سألها:

«ماذا بكِ؟».

شردت بذهنها، تتساءل:

«ماذا أقول له؟ من أين أبدأ؟».

نظرت إليه وقالت له:

«لا أعلم كيف أخبرك.. لقد أخفيت عنك أمراً ما».

«لا بأس؛ قولي لي ما هو؟».

«حسين.. أنا.. لديّ ابن».

لـم تقـوَ علـى النظـر إليـه، دقيقـة صمـت مـرت عليهـا كالدهـر؛ وهـي تنتظـر ردة فعلـه، سـألها:

«متزوجة؟».

كمن تحاول إخفاء فشلها، بحرج قالت:

«مطلقة!».

سـكت مـرة أخـرى، فنظـرت إليه؛ كانـت تعابيـر وجهـه جامدة، التفـت إليهـا وسـألها معاتباً:

«لماذا أخفيت عني أمراً كهذا؟».

«لم أجد الفرصة المناسبة لأخبرك».

ظهر الاستياء على وجهه:

«اذاً صـوت الطفـل الـذي كنـت أسـمعه أحيانـاً ابنـك، وليـس ابـن أختـك.. لمـاذا كذبـتِ عليّ؟».

شعرت بالخجل، لم ترد، تنهد ثم قال لها:

«ليس هناك ما تخجلين منه».

تحـب لطفـه، يفاجئهـا دائمـاً بتفهمـه، تشـعر بالراحـة؛ فيكـون الحديـث سلسـاً ينسـاب بسـهولة معـه.

«لا تخفي عني أي شيء مرة أخرى». قال لها معاتباً.

«الآن أخبريني قصتك، أريد أن أعرف كل شيء».

ابتسمت له، شعرت بالراحة لتفهمه، وبدأت تحكي له قصتها.

تعرفت إليه في الجامعة، كان يلقي محاضرة لدينا في الكلية، انجذبت لحضوره وخفة دمه. مرت الأيام وصادفته في الكافيه المقابل للجامعة، هو من بادر بالسلام، لم أتوقع أنه لاحظني، تبادلنا الحديث، ثم أعطاني بطاقته الشخصية. اتصلت به بعد أيام لأسأله عن جدول محاضراته. تذكرت اللهفة بصوته وهو يقول «كنت أنتظرك». وأكملت تقول:

«تطوّرت علاقتنا بشكل سريع، كنا نتحدث يومياً، وأحرص على أن أحضر محاضراته، كان يسعد عندما يراني، ويشعرني بأنني مميزة».

سكتت لحظة؛ ثم همست بضيق:

«كان يهتم بي».

سألها:

«متى تزوجتما؟».

«بعد فترة ليست بطويلة، سنة تقريباً.. كنت سعيدة؛ ولكن الأمور لم تبقَ على حالها».

«كيف؟».

نظـرت إليـه وقالـت فـي نفسـها «لـو أنـك تعلـم». أعطتـه القشـور فقـط، مـا تسـتطيع أن تبـوح بـه، أمـا السـبب الحقيقـي فمـا زال ينهـش قلبهـا.

«تغيّـر، لـم يعـد كمـا عهدتـه، ولـم أعـد أشـعر بالراحـة معـه، صـرت أعاتبـه كثيـراً حتـى صـار ينادينـي بالفتـاة النكديـة، فقـدت ثقتـي بنفسـي بسـببه، لديـه تلـك الطريقـة التـي يقلـب بهـا الأمـور علـيّ، فأشـعر دائمـاً بأنـي المخطئـة».

اشـمأزت نفسـها عندمـا تذكـرت تلـك الليالـي التـي كانـت تتزيـن بهـا مـن أجلـه وتنتظـره؛ فيأتـي متأخـراً ليصدهـا ويتعـذر بالتعـب، فتجلـس تبكـي، تشـعر بحرقـة الصـد، كانـت تظـن بـأن هـي سـبب مـا يحـدث معـه، فتحـاول بـكل الطـرق التـي تعرفهـا أن تجذبـه، أن تصلـح مـا كانـت تظـن أنهـا أفسـدته.

«ألم يكن يحبك؟».

«لا أعـرف، ربمـا ليـس بالشـكل الكافـي، أحيانـاً أشـعر بذلـك، وأحيانـا أشـعر وكأنـه نـدم علـى الـزواج بـي».

نظـرت لعينـي حسـين، فابتسـم بحنـان يحثهـا أن تكمـل، فأكملـت تزيـح هـذا الثقـل مـن علـى قلبهـا:

«حملـت، ظننـت أن حالنـا سـيتغير للأفضـل؛ ولكـن لـم يحصـل مـا توقعـت، لا أعلـم مـن أفسـد حيـاة الآخـر».

تنهدت؛ لا تقوى على الحديث، فبكت.

«لا تبكِ». قال لها وأعطاها منديلاً فمسحت دموعها؛ واقترح عليها:

«لنخرج من هنا، سآخذك إلى مكان جميل، سنكمل حديثنا هناك».

«إلى أين؟» سألته مترددة فقال:

«إلى البحر».

وكأنه يعرف أنه أحب الأماكن إلى قلبها، وافقت؛ فدفع الحساب وتوجها إلى المواقف. قالت له:

«سألحق بك».

نظر إليها، وردّ:

«تعالي معي».

ارتبكت من طلبه، قال مازحاً بعدما رأى التردد في عينيها:

«لا تخافي لن أخطفك، والمكان قريب من هنا».

«وسيارتي؟».

«سأعيدك إليها».

توجه لسيارته ولحقت به، فتح لها الباب ركبت والتصقت في الباب تحضن حقيبتها، ضحك من منظرها.

«لماذا أنتِ خائفة؟ ألا تثقين بي؟!».

ردّت بهمس

«بلى.. ولكن».

عبس مستنكراً. قاد السيارة متوجهاً إلى شاطئ قريب من الكافيه، وهي صامتة مشتتة بأفكارها:

«لماذا ركبت معه؟ ماذا لو رآنا أحد معاً؟».

اختلست النظر إليه:

«لماذا أثق بهِ؟».

هدأ بالها عندما توقفت السيارة، ألحّ عليها أن تخلع حذائها قبل النزول. مشت حافية القدمين على الرمل الرطب معه. جلسا ينظران إلى البحر، ونسمات الهواء العليلة تحيط بهما، نبست تقول:

«ساءت أحوالنا بعد أن حملت، كان حملي ثقيلاً ومتعباً، كان يستاء كلما شكوت له؛ فيقول لي كفاك دلعاً.. أحياناً أشعر بأني أكرهه.. أتعرف؟».

«أعرف ماذا؟».

سكتت ونظرت إليه، كان ينظر للبحر فالتفت إليها، تنهدت هامسة لنفسها:

«لو أن حسين..».

لكنها عادت تبثّه وجعها:

«حاولت أكثر من مرة أن...». ترددت؛ فلم تكمل جملتها

«حاولت ماذا؟».

«أن أسقط الجنين».

«لهذا الحد؟».

«وأكثر».

عبس وسألها:

«كيف.. ماذا فعلتِ؟».

«سمعت بأن شرب بعض الأعشاب بكثرة تسقطه، شربت ولم يحدث شيء، كنت أتمنى أن يسقط؛ فأقفز مراراً من على الكرسي، وأحياناً أحمل أشياءً ثقيلة، حتى شعرت بألم أسفل ظهري؛ فشعرت بالخوف وتوقفت عن ذلك». تنهدت؛ وكأنما أزاحت حملاً من على ظهرها، سألها:

«كيف حاله الآن؟».

ابتسمت؛ وكأنها ترى وجهه أمامها:

«بخير؛ هو ملح حياتي».

وأخرجت هاتفها لتريه صورته

«اسمه وليد، أعيش لأجله، أستمد قوتي منه».

«الله يحفظه لك».

«آمين».

ثم سألها:

«وبعد.. متى انفصلتما؟».

أخذت نفساً عميقاً، وكانت تنظر لصورة وليد في هاتفها؛ وقالت:

«كان عمر وليد ستة أشهر، سافر وقتها بشكل مفاجئ، ولم يتصل أو أعلم عنه شيئاً، ولم يسأل عنا». وعندما رأت حسين مستغرباً تصرفه؛ أوضحت له:

«هو كثير السفر بسبب عمله، يسافر ليومين ثلاثة ويعود، ولكنها المرة الأولى التي يسافر فيها لمدة شهر، ولم يسأل عني ولا يرد على اتصالاتي، تعبت منه، لم أكن أعرف كيف أتصرف، استنزف كل طاقتي ومشاعري؛ حتى نفد صبري وعدت إلى منزل عائلتي».

ارتجف صوتها وهي تحكي له، ودمعت عيناها، لمس حسين على كتفها بحنان يهدئها، تساءلت:

«ما زلت لا أفهم تصرفه معي، يقول بأنه يحبني، ولكن ما أراه وما أشعر به عكس ذلك تماماً، يحب أن يغيظني ويستفزني» أكملت تزيح عن نفسها حملها:

«ألوم نفسي».

«لماذا؟».

«لو لم أنجذب له وأحبه».

نَظَرت إليه، كان وجهه متجهماً، يندس الضيق بين قسماته، وبينها وبين نفسها تقول:

«ها أنا أنجذب إليك».

قالت له:

«ضاع عمري معه».

«ما زلت صغيرة والحياة أمامك».

«ليس تماماً، فمن الصعب أن أبدأ حياتي من جديد كما أحب في هذا المجتمع».

تنهدت ثم قالت:

«كنت أحلم بالزواج ممن أحب، وأن نعيش حياة سعيدة معاً، ربما هذه الحياة التي أحلم بها غير موجودة في الواقع، فقدت الثقة بالعلاقات والزواج، لا أعلم، فمن يمر بتجربة سيئة؛ يخرج منها فاقداً شيئاً من نفسه، يخرج منها منكسراً ومحبطاً».

توقفت عن المشي؛ وقالت بصوت مخنوق:

«كسرني».

وقف أمامها ومسك كلتا يديها، واقترب منها حتى شعرت بحرارة جسده، وقال لها:

«لا بأس، أنا معك».

ومسح دموعها، عاودتها الفكرة:

«لو أن حسين لم يكن..».

وعاد يقول:

«اطمئني، فأنا معك، سأكون بجانبك».

ابتسمت وشعرت ببعض الراحة، وعاد السؤال المزعج يهمس بها:

«لماذا حسين؟».

- 7 -

شعرت سارة بأن روحها خفيفة ومرحة؛ بعدما رمت بحملها الثقيل على حسين في الأمس، فاتصلت بصديقتها العنود التي دعتها إلى منزل والدها. فتحت سارة الدولاب تختار ثيابها، ومرّ على بالها زواج العنود مجبرة من ابن عمها؛ بعد انتهائها من دراستها الثانوية. كانت تطمح إلى أن تُنهي دراستها الجامعية قبل الزواج؛ لكن والدها رفض. بكت خوفاً على مستقبلها أن يُهدم، وعلى طموحها أن يُقتل، لكن لم يلتفت أحد لبكائها.

اختارت سارة قميصاً أبيض فضفاضاً قصير الأكمام، وجينزاً فاتح اللون، واختارت لوليد ملابس من القطن مريحة. تذكرت عندما ذهبت مع العنود لتختار فستان زفافها. كانت تجلس على الكرسي مهمومة، وسارة تُريها فساتين الزفاف لتختار منها. واستغرقت في فكرها عندما كانت مع العنود وأمها لاختيار شبكتها، بإعجاب قالت سارة:

«انظري لهذه الشبكة، رائعة».

أيّدت أم العنود رأيها، تصنّعت العنود الابتسامة وهزت رأسها موافقة، برجاء طلبت منها سارة:

«اختاريها على ذوقك، يجب أن تعجبك، ستظل معكِ وسترتدينها في المناسبات».

أومأت برأسها موافقة، وجالت بنظرها في المكان، فخطفت بصرها شبكة مرصعة بالألماس؛ ينتصفها حجر من الزمرد.

حملت وليد ووقفت أمام المرآة وابتسمت تشعر بالرضا، نادت على ليان لتساعدها وتحمل حقيبته؛ وخرجوا متوجهين إلى السيارة.

قبل زفافها، اتصلت بها، تبكي بحرقة:

«لا أريد أن أتزوج، أشعر بالخوف».

«هل أخبرت والديك؟».

اندفعت منها الكلمات، معبرة عن ألمها:

«رأيي ليس مهماً، أخبرت والدي فغضب مني، وقال بأنه أعطاهم كلمته، وبأني لابن عمي وابن عمي لي».

بشيء من الغيظ، أضافت:

«لِمَ عليّ أن أتّبع تقاليدهم؟».

سكتت لحظة وأردفت:

«ماذا لو لم أحبه؟».

تنهدت، تواسي روحها قائلة:

«لقد درس في جامعة ببريطانيا، ربما اختلف بطريقة تفكيره».

تفوهت سارة بجملتها مؤيدة:

«وقد يكون أكثر انفتاحاً، فيشجعك ويجعلك تكملين دراستك».

توقفت عند الإشارة؛ وما زالت طريقة زواج العنود عالقة في ذهنها.

فاقدة الأمل، قالت لها:

«لا أعلم، كلها أمنيات قد لا تتحقق، كل شيء قسمة ونصيب، كما قالت أمي».

دون اقتناع قالت سارة:

«والدك يحبك ويريد مصلحتك، هو أعلم بابن أخيه، لو لم يكن صالحاً لما وافق عليه».

غضبت منها العنود. لم تعرف سارة كيف تواسيها؛ فهي نفسها تكره الزواج الإجباري، ولا تحبذ فكرة الزواج المبكر، ولا أن تتزوج بشخص لا تعرفه.

لم تنتبه سارة لتغير ضوء الإشارة إلى اللون الأخضر، إلا بعد سماعها لبوق السيارة خلفها. قادت سيارتها؛ فعصف في ذهنها زواجها بخالد، على الرغم من أنها تزوجت بشخص أحبته، إلا أن زواجها فشل.

تزوجت العنود من راشد، وفي ليلتها الأولى كانت تجلس على السرير بفستانها الأبيض، تشعر بأطرافها باردة. صلى ركعتين ثم جلس بجانبها، فشعر بها ترتجف:

«أتشعرين بالبرد؟».

«لا». ردت بخجل

وضع يده على يدها، فتيبست وحبست أنفاسها، حاول أن يلطف الجو بينهما، فأثنى عليها:

«تبدين جميلة». وحاول أن يتقرب منها، ولكن ما أبدته من رفض وتمنع حال دون ذلك. كان متفهماً؛ فلم يجبرها،

ظل لأيام يتودد لها حتى لانت واستسلمت له. وصلت سارة لبيت العنود. جلستا في الحديقة، وابناهما يلعبان معاً، كانا متقاربين في السن. حملت العنود بعد سنة من زواجها؛ ولكن هذا الحمل لم يتم؛ فكانت تقول لها خالتها (أم زوجها):

«عين ما صلت على النبي». ثم تقرأ عليها بعض الآيات والمعوذات، وتحرق بذور الحرمل في المبخرة؛ حتى ينتشر الدخان في البيت لعلاج العين والحسد. رغم أن فحوصاتها أتت سليمة لا تستدعي القلق، كانت خالتها تغلي لها بعضاً من ثمار كف مريم، تقول لها إنها مفيدة للعقم. حملت في سنتها الأخيرة من الجامعة؛ فكانت فرحتها كبيرة؛ وفرحة خالتها أكبر، غبطتها سارة على هذه الفرحة التي لم تشعر بها أثناء حملها.

كانت العنود هائمة بأفكارها:

«أتساءل لو أنني تزوجت عن حب؛ كيف ستكون حياتي؟».

«ألا تحبين راشد؟».

سرحت لثوانٍ، وبصوت خافت:

«ربما أحبه لأني لم أعرف أحداً سواه.. حب بعد عِشرة».

«ما يهم هو معاملته لك.. فهو يحترمك ومهتم بكما».

تبسمت بحزن، وبصوت مسّه الوجع، أضافت:

«لكـن حياتنـا رتيبـة، ومشـاعرنا بـاردة.. نـؤدي واجبنـا تجـاه بعـض لا أكثـر».

تنهـدت وسـكبت الشـاي لسـارة، ووضعـت أمامهـا بعـض الفطائـر الصغيـرة، وقالـت:

«لا عليـك.. الآن أخبرينـي مـا بـك؟، منـذ أن خرجـت مـن المطعـم تلـك الليلـة وأنـا قلقـة عليـك».

حكـت لهـا سـارة مـا حدث لهـا بالمطعـم مـع خالـد، وتهديداته لهـا، اتسّـعت عينا العنـود، وارتفع حسـها:

«ماذا به.. ما الذي يستفيده من هذا كله؟».

«لا أدري.. والله لا أدري».

بنبرة حنونة، قالت:

«لا تقلقي مجرد كلمات يستفزك بها.. سيملّ ويتوقف».

سألتها سؤالاً لم تكن تتوقعه:

«أما زلتِ تحبينه؟».

«عندمـا رأيتـه تلـك الليلـة مـع امـرأة أخـرى؛ أوجعنـي قلبـي، شـعرت بالغيـرة والغضـب.. أبهـذه السـرعة نسـي مـا كان بيننـا».

سكتت برهة وأضافت:

«أنا مَن طلبت الطلاق، أنا مَن اتخذ هذا القرار؛ لكن المشاعر لا تغيب في لحظة».

«هي مسألة وقت وتختفي هذه المشاعر».

ابتسمت سارة بأسى وسألتها:

«أليس هذا الحب الذي تحلمين به، قد يأخذك الحب درباً لم تتمنيه، تجدين نفسك تتنازلين وتضحين بالكثير دون أن تشعري؛ حتى تضحي بنفسك».

عادت إلى منزلها تفكر بسؤالها: «أما زلتِ تحبينه؟»، كان الجواب على هذا السؤال صعباً عليها، تشعر بأن قلبها يكاد يفرغ منه، وكثيراً ما تلوم نفسها «لو لم يُعمِني هذا الحب.. لو لم أتزوجه.. كيف ستكون حياتي؟»، دخلت إلى المنزل فوجدت والديها في الصالة. سلمت عليهما وقبلتهما ثم جلست بالقرب من والدتها، كانت منشغلة بهاتفها، ووالدها يتابع الأخبار باهتمام كبير، تفجير هنا وهناك، العديد من القتلى والكثير من الأيتام، عائلات تشتت، بيوت دمرت، أخبار تشعرها بالألم، وأن لا وجود لمكان آمن للعيش، فقد تتفاجأ وتخسر ما لديك في لحظات. دار بينهما حوار أزعجها، فمثل هذا الحوار لم يكن يدور في بيتها من قبل، هذا سني وهذا

شـيعي، وكل يحمـل فـي داخلـه شـيئاً مـن الخـوف والكراهيـة. ظهـرت صـورة حسـين فـي ذهنهـا بابتسـامته «لـو لـم يكـن». عـاد هـذا الهاجـس إليهـا، شـعرت بالضيـق، فقامـت وتمنـت لهـم ليلـة سـعيدة، وتوجهـت لغرفتهـا «لمـاذا الأمـور تتعقـد رغـم بسـاطتها». سـألت نفسـها. فتحـت بـاب خزانتهـا العليـا، وأخرجـت صندوقـاً صغيـراً أودعـت فيـه ذكرياتهـا، جلسـت علـى السـرير وفتحتـه، كان بداخلـه قـلادة مـن الذهـب، أهداهـا إياهـا خالـد فـي عيـد ميلادهـا، وبعـض الصـور تجمعهمـا معـاً، وكارت عملـه؛ فتذكـرت ابتسـامته وهـو يقـول «سيسـعدني اتصالـك». وعطـره المفضـل، أخذتـه قبل أن تغـادر المنـزل، قربتـه مـن أنفهـا تشـم رائحتـه، صنـدوق يحمـل عبـق ذكرياتهمـا معـاً، دمعـت عيناهـا، والسـؤال ذاتـه يـدوي فـي ذهنهـا:

«أما زلت أحبه؟».

وأسئلة كثيرة تبحث عن إجابة:

«لمـاذا أحتفـظ بالصنـدوق؟ أي ذكريـات هـذه التـي أحتفـظ بهـا، وهـم، أمـل موجـع، وحلـم مقتـول، حتـى ابتسـامتنا فـي هـذه الصـورة كاذبـة».

«هـل أحبنـي بالفعـل، أم رآنـي سـاذجة لأحبـه وأتقبلـه كمـا هـو».

ثم تعود لتشك بقرارها.

«ولكن ماذا لو تحملت وصبرت عليه أكثر؟».

ضائعة بمشاعرها ما بين خالد وحسين، وتساءلت:

«ماذا لو تغيّر هو الآخر».

أعادت الصندوق إلى مكانه، ورمت نفسها على السرير، تشعر بثقل رأسها على الوسادة. أغمضت عينيها بقوة، وضغطت على رأسها بوسادة أخرى، لتحد من ضجيج أفكارها.

- 8 -

مرّت الأيام عليها تشبه بعضها البعض، تستيقظ من النوم تقرأ رسالة حسين «صباح الخير»، تبتسم ويرفرف قلبها، ترتدي ثيابها، تقبّل وليد وتنادي على ليان لتجالسه، وتذهب لعملها، تعود وتقضي العصر تلاعب وليد، وهكذا يمر اليوم يشبه الذي قبله وبعده. ظهيرة أحد الأيام عند خروجها من عملها، رأت سيارة تقف خلف سيارتها، لا ترى من بداخلها بسبب التظليل الأسود على زجاج نوافذها، وما إن وصلت لسيارتها؛ حتى تحركت مبتعدة بسرعة. لم تهتم يومها، ولكنها لاحظت نفس السيارة تظهر لها أينما ذهبت، شعرت بأن أحداً ما يراقبها. اتصلت بالعنود تبث لها قلقها:

«أشعر بأن خالد يراقبني».

«ولماذا يراقبك؟».

«أتذكرين ما قاله لي، فكري جيداً بوليد قبل أي تصرف».

«لا أعتقد بأنه سيفعل شيئاً كهذا، ربما وجود السيارة في الأماكن ذاتها ليست سوى صدفة».

«ليست بصدفة، أنت لا تعرفينه».

عندما همت بالخروج مساءً ووجدت السيارة تقف قريبة من منزلها، تملّكها الخوف؛ فعادت إلى المنزل واتصلت بالعنود قلقة:

«كانت هنا السيارة ذاتها، أمام منزلي، لم أكن أتوهم، أنا خائفة».

تساءلت العنود:

«أمعقول خالد؟».

«ربما».

تصرفاته صارت تزعجها، يتصل عليها في أوقات مختلفة، وأحياناً في منتصف الليل؛ بحجة أنه يريد أن يطمئن على وليد، وإن حصل وكان لديها اتصال آخر، يلح في اتصاله حتى ترد، وتشعر بالانزعاج في صوته. تأكدت أنه هو من يراقبها عندما اتصل بغيظه وسألها:

«من كان معك في الكافيه».

فقالت بحدة صوتها:

«ماذا تريد مني؟ لما تراقبني؟ كان زميلي في العمل».

شعرت بالضيق فأضافت:

«هذه التصرفات لا تليق بعمرك، توقف عن ذلك».

شعرت بأنفاسه تتسارع، وبغضبه:

«حاسبي على تصرفاتك، وإلا لن أترك وليد يعيش معك».

«لم أفعل شيئاً.. اتركني وشأني».

وأغلقت الهاتف بوجهه، لم تجد أمامها سوى حسين تبثه قلقها، تستنجد به، اتصلت تطلب رؤيته؛ ولكنه تعذر بانشغاله مع عائلته. وبصوت مخنوق، قالت:

«أرجوك فلديّ مشكلة، ولا أعرف ما العمل أحتاج لمساعدتك».

اتفقا على أن يلتقيا على شاطئ البحر بجانب الجزيرة الخضراء. حكت له ما حدث معها، وعن مراقبة خالد لها، قالت:

«تعبت منه، طلبت منه أن يدعني وشأني، ولكنه يأبى ذلك، كل يوم يزداد جنوناً».

«لماذا لا تخبرين والدك بأمره؟ ليتصرف معه».

«لا أريد أن أخبره فيخنقني بقلقه ومراقبته لي».

وأضافت بقلق:

«ولا أعرف منذ متى وهو يراقبني».

التفتت ترى المكان وقالت:

«ربما هو يراقبنا الآن».

التفت بدوره، لا أحد هنا سوى قطة تجلس بكسل تحت الشجرة؛ وتنظر باتجاههم، وقال لها:

«لا تقلقي؛ سأتصرف».

أخرج هاتفه، واتصل بصديق له يطلب منه خدمة. كان صديقه ضابطاً في المباحث، فحدد لها موعداً معه «أثق به سيحل المشكلة». قال يطمئنها. لم تنم ليلتها، فهي لم تدخل لمخفر الشرطة من قبل. مستلقية تنظر لسقف غرفتها، متسائلة:

«ماذا لو لم يردعه ذلك؟ وأصبح أكثر جنوناً؟».

«ماذا لو عرف أبي؟».

لم يغمض لها جفن، أفاقت الشمس أرسلت بأشعتها، موعدها معه في التاسعة، شعرت ببطء الوقت. وصلت

للمخفر في الموعد المحدد، مُسدلة شعرها الطويل ليغطي جوانب وجهها، مرتدية نظارة شمسية سوداء كبيرة، تخفي ملامحها، وتي شيرت أبيض فضفاض، تحتمي به. استقبلها رجل الأمن فقالت:

«عندي موعد مع المحقق عبد الله».

«سارة؟» مستفسراً.

«نعم».

«هو بانتظارك تفضلي من هنا».

«شكراً لك».

بقلب مرتجف، وأطراف باردة مرتعشة؛ توجهت لمكتبه.

«لو كان حسين معي».

اتصل بها قبل ذهابها «لا تقلقي». أسّر لروحها.

«تعالَ معي».

«لو أستطيع لأتيت، ولكنه طلب رؤيتك وحدك».

توقفت أمام الباب، أخذت نفساً عميقاً؛ امتلأ صدرها به، وطرقت الباب.

«تفضل». قال بصوت عميق. دخلت، رفع نظره إليها متفحصاً.

«السلام عليكم».

حيته بصوتها المرتجف.

«وعليكم السلام». أشار إلى الكرسي أمام مكتبه؛ وقال: «تفضلي».

جلست مرتبكة تضغط على أطراف أصابعها، والنظارة لا تزال على وجهها.

«تستطيعين خلعها».

قال مشيراً للنظارة، وأضاف:

«أخبريني الآن عن مشكلتك، قال لي حسين إن هناك شخصاً ما يضايقك».

«نعم، طليقي».

«ما به؟».

حكت له ما حدث معها في موقف السيارات، وعن إزعاجه لها ومراقبتها. كان يستمع لها باهتمام، ينظر إلى عينيها، يركز على إيماءاتها، يكتب على الورقة التي أمامه بعض الملاحظات، وقال لها مستسخفاً الموضوع:

«لا أرى هنا أي مشكلة تستدعي تدخلي».

اعترضت:

«وملاحقته لي».

«تمر علي مثل هذه الحالات، سيملّ بعد فترة».

«ولكن». سكتت واختنقت بعبرتها كومضة، مرّ على بالها ما كان يحدث بينها وبين خالد، الكثير من التفاصيل المؤلمة التي أخفتها، ولم تخبر بها أحداً؛ حتى صديقتها المقربة، فقال:

«إن كان هناك شيء آخر تخبريني به؛ حتى أستطيع مساعدتك».

فقالت بتردد:

«بالأمس اتصل بي.. يهددني».

«بماذا».

«حسين».

«وما علاقتك بحسين؟».

«مجرد صديق.. ولكنه يعتقد بأني على علاقة معه».

ظهرت على وجهه شبه ابتسامة؛ وكأنه لا يصدقها:

«هل أنت متأكدة؟».

«صدقني، مجرد صديق لا أكثر».

وبعبوس وجهها، طلبت:

«أريده أن يكف عن مضايقتي».

«سؤال أخير، هل كنت مع حسين في مكان ما لوحدكما؟». نظر إليها بتمعن وهي تجيب

«مرتين». وسكتت.

«أين؟».

«في كافيه وعلى البحر».

وسألها يتأكد:

«أقصد في مكان خاص؟».

«لا.. علاقتنا ليست كما تظن».

«لأتأكد فحسب».

طلب منها اسمه ورقم هاتفه وعنوانه الحالي، ووعدها بأن يحل هذا الأمر، منهياً لقاءها:

«لا تقلقي، وأبلغي سلامي لحسين». ولاحت شبه ابتسامة على وجهه.

ابتسمت بثقل وشكرته؛ ثم غادرت الغرفة. اتصل عليها حسين ليطمئن عليها، كلما اتصل عليها؛ أضفى على قلبها شيئاً من السرور، فيظهر السؤال على بالها:

«ماذا لو لم يكن شيعياً؟».

أخبرته بما دار بينهما؛ وبأنه سألها عن علاقتهما:

«لا بأس أسئلة روتينية، أخبريه بأننا مجرد أصدقاء».

وقع الجملة على قلبها أشعرها بالضيق «مجرد أصدقاء، هذا هو حالنا إذاً، وهكذا سيتم»، قالت لنفسها. لم يرتح لها بال، أخبرها حسين بألا تقلق، وبأنه يثق بأن صديقه سيحل مشكلتها، ولكنها قررت التغيب عن العمل إلى أن يتصل بها المحقق. بعد يومين من القلق والسهر وتغيبها عن العمل، اتصل بها المحقق:

«ألو.. أخت سارة؟».

«نعم».

«كيف حالك؟ معك المحقق عبد الله».

لامس التوتر حسّها.

«أهلاً بخير.. ماذا حدث؟».

سألته مترقبة، ردّ:

«ألهـذا الحـد أنـتِ قلقـة؟ لقـد اتصـل بـي حسـين يسـتعجل الموضـوع، كان قلقـاً عليـكِ».

الابتسـامة ذاتهـا كلمـا ذكـر اسـمه، شـعرت بهـا مـن خلـف الهاتـف.

أضاف:

«لا تقلقي؛ لن يتعرض لك، انسيه الآن».

«كيف، ماذا فعلت؟».

«اتصلـت بـه واسـتدعيته، ووقّـع علـى تعهـد بـألا يتعـرض لـكِ مـرة أخـرى، فاسـتريحي الآن ولا تقلقـي».

ردّت؛ واستغرابها:

«بهذه البساطة، مجرد ورقة وتوقيع ستبعده عني!».

بارتفاع حسّه، قال:

«أخـت سـارة، أنـا لا أسـتطيع أن أخبـرك بتفاصيـل عملـي، لا عليـك سـوى أن تطمئنـي».

وأضاف:

«ولكـن كمـا تعلميـن، لديكمـا ابـن، فـأي اتصـال بينكمـا سـيكون مـن أجلـه عـن طريـق والدتـه، وإن اضطـر عـن طريقـه، ولـن يضايقـك».

شكرته وأغلقت الهاتف. أزعجها أن هناك حبل وصل بينها وبين طليقها، سيكون موجوداً في حياتها لا مفر منه، فلديهما ابن يجمعهما معاً.

- 9 -

«حـان الوقـت لأنسـاه وأفـرغ قلبـي منـه وأبـدأ مـن جديـد». هامسـة لنفسـها. أخـذت صنـدوق ذكرياتهـا وخرجـت مـن المنـزل قاصـدة البحـر. وقَفَـت علـى حافـة اللسـان الخرسـاني، الريـاح خفيفـة، وضربـات المـوج علـى الخرسـانة. رغـم أن بعـض الجـروح تتـرك ندوبـاً؛ إلا أنهـا قـررت أن تبـدأ مـن جديـد. أخـذت نفسـاً عميقـاً ورمـت محتويـات الصنـدوق، كل شـيء علـى حـدة فـي البحـر. رمـت القـلادة وذكـرى لقائهمـا الأول، العطـر وذكـرى أول عنـاق، القميـص وذكـرى أول فـراق، مزقـت الصـور ورمتهـا، رمـت كل الذكريـات المرتبطـة بـه، ثـم أخرجـت هاتفهـا مـن حقيبتهـا، ورسـالة حسـين:

«وحشتيني».

سألت، وفرح قلبها:

«شكثر؟».

وصل جوابه:

«كثر البحر».

يعرف عشقها للبحر، وراحتها بقربه. عادت لسيارتها، وفي طريق عودتها للمنزل؛ اتصلت بها العنود، آسٍ صوتها، قالت:

«والدي في المستشفى أُصيب بسكتة قلبية وحالته حرجة».

ذهبت إليها لتواسيها وتطمئن على والدها. جلست معها في صالة الاستقبال.

«سقط فجأة، أخافني؛ اعتقدت أنه مات».

أفشت العنود بارتياعها.

«الحمد لله قام بالسلامة».

طمأنتها سارة.

هزت رأسها وكدر خاطرها، رقّ صوتها، وقالت:

«الحمد لله».

ثم صرحت بهاجسها:

«إني أشك براشد، أشعر بأنه يخفي عني شيئاً».

أثارت حيرة سارة، فسألتها:

«مثل ماذا؟».

«أشعر بوجود امرأة أخرى في حياته».

عبَرت سارة رعشة، نفَضتها.

حكت مرارتها:

«وضع رقماً سرّياً لهاتفه، وتأتيه اتصالات لا يرد عليها أمامي».

سكتت ثواني وأضافت:

«يخرج ليرد».

«لا تفتحي باباً للشك».

تجاهلت العنود ما قالته سارة، وأكملت تبث قلقها:

«تبعته مرّة ووقفت خلف الباب أتنصت عليه، كان يتكلم بصوت خافت، لم أستمع جيداً لما يقول».

سرحت تسترجع الموقف، وأضافت:

«نبرة صوته مختلفة، وطريقة ضحكته».

«لكن هذا ليس سبباً كافياً ليجعلك تشكّين به». قالت معارضة.

«قلبي يحذرني، أشعر بأن هناك أمراً ما يحدث، غيابه عني وعن البيت».

خطر حسين على بال سارة، همست لنفسها:

«له فترة منشغل عني».

أعادها صوت العنود:

«عندما يتحدث حدس المرأة، لتستمع له».

عصف هاجس سارة بها:

«اتصلت به مرة لم يرد، رد برسالة».

«هل من الممكن؟».

«هو مجرد صديق.. صديق عزيز».

شعرت بحاجة إلى أن تتصل به.

وصوت العنود:

«هل أنتِ معي؟؟».

«نعم، نعم، أكملي».

«خرج مرة من البيت وتأخر في العودة، اتصلت به لم يرد، اتصلت مرة أخرى كان الجهاز مغلقاً، تشاجرت معه عندما عاد، صرنا نتشاجر كثيراً».

وأضافت:

«مصيبة تلو الأخرى، أولاً زوجي والآن والدي».

ثم قالت بسخرية:

«لم تعد حياتي رتيبة».

هبط الضيق على صدر سارة وانشغال حسين، ما إن خرجت حتى اتصلت به. ردّ والمرح بصوته:

«سارة.. كيف حالك؟ اشتقت إليك».

«بخير وأنا كذلك.. اشتقت إليك».

«لنلتقِ، لديّ الكثير لأقوله».

وافقت، وأغلقت الهاتف والابتسامة تعلو وجهها، تسترجع صوته وهو يقول اشتقت إليك، وعادت تتحسر وهي تهمس لنفسها:

«لو لم يكن شيعياً».

والضيق على صدرها يذكرها بكلام العنود:

«حدس المرأة».

«لتستمع له».

وخبت ابتسامتها..

-10-

في اليوم التالي؛ اتفقت أن تلتقي بحسين في الكافيه الذي اعتادا الذهاب إليه. فتحت الدولاب، احتارت ماذا تلبس. اختارت فستاناً بلون الزيتون الأخضر الداكن، وارتدت حذاء أبيض ذا كعب متوسط، جعلت شعرها مموجاً، نظرت برضا في المرآة لشكلها النهائي «سأُعجبه». وصلت إلى الكافيه، وجدته جالساً بانتظارها، ما إن رآها حتى بانت أسنانه من شدة ابتسامته، شعرت بالرضا.

قال لها:

«كأني لم أركِ منذ زمن، كيف حالك؟».

وأضاف قبل أن ترد:

«تبدين جميلة».

احمرت وجنتاها خجلاً، شكرته وقالت:

«لا شيء جديداً، ماذا عنك كيف حالك؟».

ارتسمت شبه ابتسامة على وجهه وقال:

«لديّ خبر قد يسعدك».

«أخبرني أحتاج لسماع أخبار سعيدة».

وشيء من الضيق مكث على صدرها..

تحاشى النظر إلى عينيها، قائلاً:

«سأتزوج».

داهمها شعور غامض؛ وكأنها كانت على متن سحابة والكلمة باغتتها ودفعتها وصارت تهوى إلى القاع.

-11-

«سأتزوج».

خلعت حذاءها ومشت حافية على رمل البحر، قدماها تغطسان بالرمل الناعم والأمواج الخفيفة تداعبهما. سرحت تنظر لغروب الشمس مودّعة بلونها البرتقالي. جلست وعقدت يديها فوق ركبتها، وأسندت ذقنها عليهما.

«إذاً؛ سيتزوج».

تلاشى البحر من أمامها، هدأت الرياح، واختفى صوت النورس، ابتلعتها ظلمة ذاكرتها، تتذكر ما حصل:

«ألستِ سعيدة من أجلي؟!».

ردّت والحزن قد لامس قلبها:

«بلى.. وكيف لا أكون؟!».

شعرت بأنها ستفقده، تصنّعت الابتسامة؛ ودفنت حزنها في قلبها، وقالت:

«مبروك.. من هي سعيدة الحظ؟».

«ابنة صديق والدي، تاجر معروف».

«لِمَ لَم أعلم من قبل بمخططاتك؟».

سألت والعتب في عينيها، قال:

«انتظرت الوقت المناسب لأخبرك، حدث كل شيء بسرعة».

تنظر إليه، وفي بالها:

«وأنا؟».

شعرت بالصداع يضغط على رأسها، وانساب في حديثه:

«لم أعد صغيراً؛ أرغب بالاستقرار، وأن أُرزق بأطفال يحملون اسمي، يملؤون حياتي بالبهجة، وحوراء ترغب بالشيء نفسه».

وقال:

«سأعرفك إليها».

أومأت برأسها مبتسمة، فأضاف:

«لا مانع لديها، فأنتِ.. صديقتي».

أعادها صوت موج البحر؛ فقامت تغطس قدميها فيه، تفكر بالفراغ الذي سيخلفه، بأحاديثهم قبل النوم، برسالته كل صباح، بابتسامته، لم تكن على استعداد لأن تفقد هذا كله، أن تفقده.

-12-

تشعر بحبك لهم بعد رحيلهم، بعد أن ترى حجم الفراغ الذي يتركونه من بعدهم.

التقت سارة بحسين وخطيبته، سلّمت عليها حوراء بشيء من التعالي، وضمت ذراعه ونظرة في عينيها تقول:

«إنه لي».

شعرت سارة بسخف وجودها معهما.

«إذاً أنتِ حوراء، جميلة».

حدثت سارة نفسها، وهي تتفحص شعرها الأسود الناعم وبياض بشرتها. لاحظت أن حسين كان مختلفاً معها، شيء من التصنع والبرود بطريقته معها، أم أنها تتمنى ذلك وتتوهم. تفاخرت حوراء:

«لديّ شركة خاصة في مجال الأزياء، وأساعد والدي في إدارة بعض من أعماله في شركته».

نظرت إليها وابتسامة تكبّر على وجهها، سألتها:

«وأنتِ؟».

ردّت:

«أعمل في وزارة».

قاطعتها بضحكة مستفزة، ووجهت كلامها لحسين:

«لا أتخيل نفسي أعمل في إحدى وزارات الحكومة».

كان صامتاً بينهما، شعر بسوء لتدبيره هذا اللقاء. لمحت سارة خاتم الألماس بيدها، ماسة بارزة في المنتصف؛ وماسات صغيرة تحيط بها، وحدثت نفسها: «تلائمه؛ من نفس المذهب ومن عائلة ثرية مثله». تحملت سارة لؤم حوراء من أجله، ثم باركت لهما وودعتهما بعد أن اعتذرت بانشغالها. حين وصلت إلى سيارتها واستقرت في مقعدها؛ أحسّت بدموعها تسيل دافئة على خدها، ونشب السؤال المحرق بروحها:

«هل أحبه؟».

وشعرت بسكين الندم تمضّ بقلبها:

«لماذا توقفت عند مذهبه؟».

وبأسف:

«ذلك الخاتم».

بعد آخر لقاء لهما في المطعم، اتصل بها مرتين لم ترد، أرسل لها رسالة:

«أعتذر».

مرّت الأيام، لم تجرؤ على الاتصال به والسؤال عنه، وصلتها رسالة أخرى منه:

«سأشتاق إليك».

«ربما سافروا إلى مدينة العشاق (البندقية)؛ كما كان يتمنى».

قالت لنفسها بعدما قرأت رسالته مراراً، تمر في بالها أيامهما معاً، كل تلك الأحاديث بينهما، ولم تكن حوراء من ضمنهم. انطوت على نفسها، لا ترغب في أن تتحدث مع أي أحد، لا تغادر سريرها، ولا تشتهي الطعام.

قلقة حامت من حولها أمها:

«ماذا بكِ؟ هل أنتِ مريضة؟» ووضعت يدها على رأسها تتحسس حرارتها.

«لا شيء.. أرغب بالبقاء وحدي».

«لا يعجبني حالك!».

بصوت خافت وبحنان أضافت:

«قولي لي، ما الذي يضايقك؟».

أصرّت سارة:

«لا شيء.. أريد أن أنام».

«سارة».

«أرجوك أمي».

«حسناً».

خرجت والدتها من غرفتها غير مرتاحة، فاتصلت بالعنود تسألها عن حال سارة؛ لعلها تعرف ما بها.

«العنود كيف حالك، وأسرتك؟».

«بخير، كيف حالك، وسارة؟».

«لهذا السبب أتصل بك، أنا قلقة عليها».

«ماذا بها؟».

«تبدو حزينة، فهي لا تغادر غرفتها ولا تشتهي الطعام».

سكتت لحظة، وأكملت:

«هل أخبرتك بشيء؟ لا تريد أن تخبرني ماذا بها».

وانكسر صوتها قبل أن تقول:

«لماذا لا تزورينها لتعرفي ما بها؟».

«سآتي غداً لزيارتكم».

احتارت العنود: «أتراه خالد عاد يضايقها، أم أن أمراً آخر استجد؟».

-13-

استيقظت سارة بهزّة خفيفة على كتفها، فتحت عينيها بتثاقل:

«العنود!.. ماذا تفعلين هنا؟».

استغربت حضورها المفاجئ.

«اتصلت بي والدتك؛ كانت قلقة عليك».

وقالت:

«لنخرج قليلاً، بدّلي ثيابك».

«لا أريد الخروج». ردّت بتململ.

أصرت عليها وطرحت فكرتها:

«لنذهب إلى البحر».

أزاحت الكثير من الوسادات حولها وهي تضحك وتتساءل «ما قصتك مع كل هذه الوسادات؟»، وسحبتها من الفراش، ابتسمت سارة وقالت:

«لأشعر بالدفء والحنان».

رفعت العنود حاجبيها بتعجب، مستغربة كيف أن الوسادات ستشعرها بذلك، سحبتها من سريرها؛ وبشيء من الود دفعتها إلى الحمّام. أخرجت لها فستاناً طويلاً من القطن، لونه رمادي فاتح، وسترة دون أكمام من الجينز الخفيف. غسلت سارة وجهها ونظرت إلى نفسها بالمرآة، بشرتها شاحبة، وعيناها ذابلتان وحزينتان. توجهتا إلى مطعم يطل على البحر، وجلستا في الخارج تحت مظلة تقيهما أشعة الشمس. طلبت العنود قهوة تركية، ولسارة عصير برتقال ينعشها.

«تكلمي؛ ماذا بكِ؟».

«لا شيء».

«خالد؟».

«طبعاً لا، لا أعلم عنه أي شيء.. أخبريني كيف حال والدك؛ تحسّن؟».

«أفضل من قبل، تحسنت حالته».

«وأنتِ وراشد؟».

«من أين أبدأ».

سكتت ثواني، بحسرة أضافت:

«كأن شيئاً انكسر بيننا».

«بسبب الشّك؟».

هزّت العنود رأسها يمنةً وشمالاً، وقالت:

«تأكدت ظنوني، فلقد اتصلت بي، ووصلت عند باب بيتي تصرخ وتتوعد!».

حزنت سارة على صديقتها، وسألتها:

«ماذا حصل، ماذا فعل زوجك؟!».

ارتجف صوتها، وقالت:

«طردها، سمعته يصرخ بها انتهينا».

أضافت وهي تغلي بضيقها:

«لو تعلمين مقدار الألم الذي شعرت به، أفكار كثيرة تدفقت في ذهني، هل دخلت بيتي؟ هل ناما على سريري؟».

جاء على بال سارة حسين «هل قبّلها؟».

وصوت العنود، وضيقها:

«حملت حقيبتي وابني إلى بيت والدي، توسل إليّ أن أستمع له، لم أرغب أن أرى وجهه».

خجلت سارة من نفسها؛ لأنها لم ترد على اتصالاتها عندما احتاجت لها.

وقالت:

«لم أخبر والدي، خفت على صحته، وأعادني أخي يقول لي بأنها مجرد نزوة».

سكتت برهة ثم قالت:

«صرت أشك بكل تصرفاته.. فقدت الثقة به».

وأضافت بحسرة:

«أشعر بأنه متمسك بي؛ لأني ابنة عمه لا أكثر».

وقالت:

«وما يشعرني بالضيق فعلاً، كأن هذا الأمر طبيعي عند الرجال، فتقول لي أختي كلهم خونة، وأن عليّ أن أتقبل الأمر؛ فهو لم يتزوج!».

فكرت سارة «ألم يخني حسين، ألم يقل إنه سيكون دائماً بجانبي موجوداً في حياتي، وأن أطمئن».

تنهدّت العنود، وأضافت:

«أنظر إليه وأسأل نفسي، هل هو زوجي المحب، أم زوجي الخائن؟ أخبريني ماذا أفعل؟ كيف أثق به مرة أخرى؛ وأتخلص من هذا الشك؟».

وأضافت:

«أحبه وأرغب بأن أسامحه وأتخلص من هذا الشك، ولكنني أخاف من أن يعيد الكرّة؛ لأن موقفي كان ضعيفاً، وعائلتي لم تقف معي».

لاحظت العنود صمت صديقتها فقالت:

«أخبريني ماذا بك».

اعترفت لها بعلاقتها مع حسين، وبأنها بدأت تشعر بالحب تجاهه؛ لكنه تركها وتزوج، اعترفت لها بوجعها وبحرقة قلبها.

«أشعر بأنني قليلة الحظ، أولاً خالد؛ والآن هو».

وقالت بشيء من الحسرة:

«أشعر بأني فاشلة بعلاقاتي.. كأنني ملعونة».

لمحت سارة شيئاً من الضيق في ملامح العنود، قالت لها:

«لستِ فاشلة.. اختياراتك ليست صائبة».

وأضافت مبينة استنكارها:

«من الجيد أن علاقتك معه انتهت».

«لماذا؟».

سألتها والضيق بصوتها:

«تعرفين لماذا.. لا تستهيني باختلاف مذهبيكما، أحببته ثم ماذا؟».

«الحب لا يقف عند مذهب».

قالت وأشاحت بوجهها عنها، شعرت بصوت العنود كأنه يزن في رأسها:

«هل ستتزوجينه؟».

«ولِمَ لا؟».

قالت العنود، والرفض:

«فكري بعقلك سارة، وأطفالكما أي مذهب سيتبعون؟».

وقالت:

«وقبل هذا كله، هل ستقبل عائلتك وعائلته؟».

دافعت سارة، وبعض الشك في قلبها:

«والدي سيتفهم».

-14-

«مرّت سنة».

ذهبت لذلك الكافيه الذي شهد لقاءهما، فاليوم ذكرى اللقاء الأول. ألقت نظرة على المكان؛ مكتظ قليلاً، ما عدا طاولتها المعتادة خالية، همست بشيء من الفرح لنفسها:

«أي صدفة هذه أن أجدها دائماً خالية بانتظاري».

بخطوات بطيئة اتجهت لطاولتها، وعيونها مترقبة، تنظر لوجوه الناس تبحث عن وجهه، بخيبة حدثت نفسها:

«لستَ هنا؟».

جلست على الطاولة ورحب بها النادل وذهب ليأتي بقائمة الطعام. أسندت كوعها على الطاولة ووجهها على مرفقها تتأمل في الوجوه، طفل سعيد بصحبة أبيه يضحك كلما داعبه، ويفرح كلما أعطاه قطعة من الكعك، وفي طاولة

أخـرى، امـرأة تتحـدث بانفعـال وعصبيـة مـع صديقتهـا، التـي تنظـر إليهـا بدهشـة فاغـرة الفـاه، وتجاورهـم طاولـة بهـا امـرأة كبيـرة بالسـن مـع ابنهـا وزوجتـه، تنظـر إليهمـا بحـب، وعلـى طاولـة أخـرى زوجـة عابسـة، وزوجهـا منشـغل بهاتفـه، وهـي لوحدهـا تنتظـر قدومـه، تناديـه بروحهـا:

«ليتك تأتي، اشتقت إليك».

تـرى بعـض نظـرات الفضـول مـن حولهـا، تسـأم مـن تلـك النظـرات وتتسـاءل:

«هـل هنـاك مـا يمنـع مـن أن أجلـس لوحـدي؛ دون أن تزعجني تلـك العيـون الفضولية».

مـرت فتـرة وهـي جالسـة تنتظـر، وتشـرب فنجـان قهـوة تلـو الآخـر.

«لما أنتظر؟!»، شعرت بحيرة من أمرها.

الطاولات فرغت إلا طاولتها، أتى النادل وسألها:

«أتريدين شيئاً آخر؟».

أومـأت برأسـها لا تريـد، أشـفقت علـى نفسـها، وحيـدة تحتفـل بذكـرى لقائهمـا الأول، مـع العديـد مـن فناجيـن القهـوة، تتذكـر

الأيـام كيـف مـرت ببـطء بدونـه، أيـام بـاردة لا طعـم لهـا، فـراغ لـن يمـلأه أحـد غيـره. تنهـدت وطلبـت الحسـاب، فالليـل أسـدل سـتاره، والكافيـه علـى وشـك الإغـلاق، ملأهـا عطـرٌ تعرفـه، رائحتـه عالقـة فـي ذهنهـا، همسـت والتفتـت:

«حسين؟».

لمحـت شـخصاً يخـرج مـن الكافيـه، دفعـت الحسـاب وقامـت مسـرعة الخطـى لتلحـق بـه، لكنهـا تأخـرت ولـم تميـز السـيارة الراحلـة، ولا مَـن بداخلهـا، فخـاب أملهـا، حدثـت نفسـها:

«لماذا لا أتصل به، لماذا كل هذا الكبرياء؟!».

لكنهـا لـم تتصـل؛ وعـادت إلـى المنـزل، صعـدت إلـى غرفتها، ألقـت بنفسـها علـى السـرير، أغمضـت عينيهـا واسـترجعت رائحـة العطـر «اشـتقت إليـك». ردّدتهـا بصـوت مخنـوق، أمسـكت بهاتفهـا:

«لماذا لا أسأل عنه؟».

ولـم تسـأل، تركـت هاتفهـا والدمـوع مـلء عينيهـا، والحنيـن يداهمهـا.

-15-

استيقظت على رنين هاتفها، لم تصدق عينيها كان المتصل حسين، ردّت ورجفة صوتها:

«ألو».

«كيف حالكِ؟»، سألها بشيء من اللهفة.

أجابت بحدّة من حرقة الشوق فيها:

«بخير».

سكت لحظة، وقال:

«اشتقت إليك».

وأردف:

«هل من الممكن أن نلتقي اليوم؟».

دموعها ملأت عينيها؛ وجملة اشتقت إليكِ ترقص في ذهنها. قامت من على السرير تستعد على عجل؛ مشتاقة له هي أيضاً، لم تسأله عن المكان؛ فهي تعرفه، لقد كانت فيه بالأمس، واشتمت عطره، حدّثت نفسها:

«أمعقول، شعرت بعودته؛ فتخيلت رائحة عطره؟».

وصلت قبل الموعد، فوجدته بانتظارها. سارت إليه بخطوات سريعة مليئة بالشوق، استقبلها بابتسامته التي تحب، وقف واقترب منها وحضن يدها بين يديهِ، دون أن ينبس ببنت شفة، رجع خطوة للخلف ينظر إليها، ابتسمت له؛ فسحب لها الكرسي لتجلس عليه، وجلس بجوارها، لم يترك يدها ولم تسحبها.

«كيف حالك؟ أخبريني عنك وعن أحوالك».

لم ترد، أشاحت بوجهها تخفي دموعها عنه، بحنان ضغط على يدها، قال:

«أعتذر عن غيابي».

سألتهُ بصوت خافت دون أن تنظر إليه:

«كيف حال زواجكَ؟».

ظلّ صامتاً، نَظَرت إليه تنتظر جوابه، فقال:

«لم أتزوج».

استغربت، وشعرت بقلبها يقفز فرحاً، وسألته:

«ماذا؟».

قال:

«استعجلت، لم يكن قراراً صائِباً.. فانفصلنا».

«وماذا عنها؟».

«تفهمت الأمر، لم ترتح هي أيضاً».

قالها بشيء من الرضا، وكأن ضميره مرتاح بتفهمها لانفصالهما، نظر إليها وهو يقول:

«لم أحبها، ولا أعتقد بأني سأحبها يوماً».

قالت وهي تتصنع الأسف:

«آسفة لسماع ذلك».

شبه ابتسامة علت وجهه، ردّ:

«لا عليك».

تذكرت غيابه، فعقدت حاجبيها وسألته والعتب بصوتها:

«إذاً أين كنت طوال هذه الفترة؟».

«سافرت، شعرت بحاجتي الشديدة للعزلة، لأرتب أفكاري.. عدت بالأمس صباحاً».

عادت إليها رائحة العطر، فسألته:

«هل مررت هنا أمس مساءً؟».

نظر إليها والابتسامة تعلو وجهه، وقال:

«كنتِ جميلة بفستانك الأسود».

وأمسك خصلة من شعرها وقال:

«وشعرك المموج».

تذمّرت:

«لماذا لم تكلمني؟».

«لم أرغب أن أزعج هدوء خاطرك، ولكن كيف عرفتِ بمروري؟».

«شممت عطرك!».

ضحك، وقال:

«لديك حاسة شم قوية، رأيتك جالسة سارحة بفكرك؛ فلم أرغب بإزعاجك».

قالت مستاءة:

«ليس عذراً».

«قلقت من ردة فعلك، فقررت أن اتصل أولاً؛ أن أخبرك بعودتي، وأن أعتذر».

شعرت بألم غيابه، فقالت بخشية:

«ومتى يكون رحيلك القادم حتى أتهيأ له.. وأتقبله».

صمت ينظر إليها بحزن؛ لم يُجب، وسكتت هي أيضاً لا ترغب بسماع إجابته، سعيدة فقط بوجوده. أشرق وجه سارة بعودته، تحدثا طويلاً، أخبرها عن سفره، لم تكف عن التبسم وهي تستمع له، وبنظرتها تقول، أرجوك لا تغِب مرة أخرى. لم يخبرها بحبه؛ ولكنها عرفت، ولم تعترف له بحبها؛ ولكنه يعلم. لا يعلمان ماذا سيحمل لهما المستقبل، هما على يقين أن عائلتيهما ستحاربان هذا الحب؛ بسبب اختلاف مذهبيهما، لكنهما سعيدان بهذه اللحظة، سعيدان بوجودهما معاً.

تمت

الكويت، يوليو، 2018

المؤلفة

موضي الطويل ـ الجنسية: كويتية 1987

ـ حاصلة على شهادة بكالوريوس في إدارة التقنية البيئية، جامعة الكويت

ـ كاتبة